مجلة منتدى الأستاذ

المجلد: 21 العدد: 01 السنة: ديسمبر 2025 الصفحات 190 ـ 203

تسريد الهُويّة في الأدب الفلسطيني المـُقاوم

–رواية (وداع مع الأصيل) لفتحيّة محمود الباتع أنموذجاً–

Narrating Identity in Palestinian Resistance Literature
Fathyah Mahmoud Al-Bate's novel "Farewell to the Authentic" as a Mode

محمد سيف الإسلام بوفلاقة[1]،*

[1] جامعة باجي مختار/ عنابة (الجزائر)، mohamed-saif-al-islam.boufalaka@univ-annaba.dz

مخبر الشعريات وتحليل الخطاب.

تاريخ الإرسال: 2025/08/11 تاريخ القبول: 2025/09/09

الكلمات المفتاحية:

هوية؛

مقاومة؛

أدب؛

رواية؛

فلسطين،

الملخص:

يهدف البحث إلى تحليل تسريد الهوية الفلسطينية في رواية "وداع مع الأصيل" لفتحية محمود الباتع كأنموذج لأدب المقاومة، ويعتمد منهجاً سيميائياً تحليلاً، يتتبع بنى السرد والشخصيات (وليد، شكري بك) والثنائيات (مقاومة/خيانة، هوية/غربة). وتتمحور التساؤلات حول آليات تشكيل الهوية عبر اللغة والموروث في مواجهة الاحتلال، ودور السرد في توثيق الثورة (1936–1947). كما يناقش تفاعل الرواية مع التاريخ والثقافة الفلسطينية لتعزيز البعد الإنساني والقومي.

ABSTRACT:

The study analyzes the narration of Palestinian identity in Fathiyya Mahmoud Al-Bate's novel "Farewell to the Authentic" as a model of resistance literature.
It employs a semiotic-analytical methodology, tracing narrative structures and characters (Walid, Shukri Bey) alongside binaries (resistance/betrayal, identity /alienation).
Central questions address mechanisms of identity formation through language and heritage amid occupation, and narrative's role in documenting the uprising (1936-1947).
It also examines the novel's interplay with Palestinian history and culture to enhance humanistic and national dimensions.

Keywords:
Identity,
Resistance,
literature,
Novel,
Palestine,

* محمد سيف الإسلام بوفلاقة.

مقدمة:

يبدو أن تراكم مجموعة كبيرة من النصوص الأدبية والروائية التي جسدت المقاومة لم يؤدّ إلى خلق سجال نقدي حقيقي حول هذا الاتجاه البارز في الرواية العربية الحديثة؛ فالباحث عن أسئلة الهُوية والمقاومة في الأدب العربي ما يزال في حاجة ماسة إلى خلفيات ومرجعيات نظرية ونقدية، تكوّن مفاتيح تُساعده على تحليل إشكاليات أدب المقاومة، وهو ما يزال بحاجة إلى أدوات تسمح له بالدخول إلى نصوص أدب المقاومة.

أولاً: الهُويّة وأدب المقاومة –مُحاولة لتحديد المفاهيم–:

أ–الهوية:

تنصرف الهـُوية في دلالاتها إلى حقيقة الشيء وصفاته، التي يتميز بها عن غيره وتتجلى بها شخصيته، فهي(الهـُـويّة) تقوم على السمات التي تتميز بها كل أمة عن غيرها من الأمم، كدينها ولغتها وتراثها، ويشير مفهوم الهـُويّة إلى الصفة التي يكون عليها الشيء؛ أي من حيث تشخيصه وتحققه في ذاته، فضلاً عن أنها تتوجه في أبعادها نحو وعي الذات، وإدراك المصير التاريخي الواحد والعلامات المشتركة، التي تطبع جماعة معينة من الناس، وتعتز بها، فهي مجموع المفاهيم العقائدية، والتراثية، وتشكل رابطة روحية، وضميرية بين الأفراد، وهي تقتضي اعتزاز الفرد برموز أمته، وإجلالها، واحترامها، والولاء لها، ومن المعروف أنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً باللغة، من حيث إنها لا تقتصر على كونها وسيلة للتواصل والتفاهم بين المجموعات البشرية فحسب، بل تمتد للتعبير عن القيم والثقافة والانتماء، وكلما كانت اللغة أوثق اتصالاً بثقافة الشعوب، كانت أقدر على تشكيل هويّة الأمة وحمايتها[1]؛ فلغة أي مجتمع من المجتمعات تمثل الوعاء اللُّغوي لثقافة ذلك المجتمع، ومما لا يخامره أدنى شك أن اللغة تعد أقدم تجليات الهويّة، وذلك على اعتبار أن اللغة المشتركة من شأنها أن تجعل من كلّ فئة من الناس(جماعة) واحدة، ذات هويّة تتسم بالاستقلالية، ويزداد الاهتمام باللغة والهويّة في الآن ذاته، عندما يشيع الحديث عنهما، في المفاصل التاريخيّة في حياة الجماعات، وفي الغالب يتمُّ الربط بينهما، إذ يتماهيان إلى درجة أنهما يكادان يصبحان شيئاً واحداً[2]، ويصعب أن نتعرف على ثقافة أمة، أو تقدمها الفكري من غير التعرّف على لغتها، كما أنه من الصعب جداً سبر لغة ما، من غير أن نتصل بثقافتها، فهي من أهم عوامل الرُّقي الحضاري، لذلك فإن علاقتها بالفكر، وعلاقة الفكر بها يوضح بعض الجوانب من أهميتها الحضارية، فالمظهر الحضاري يتجلى من خلال اللغة، التي هي صورة من صور النشاط العقلي في الأمة، ولذلك فلم توجد اللغة دفعة واحدة عند الناطقين بها، وإنما أوجدت الأمة ألفاظاً على قدر حاجتها والغزو اللغوي، إنما هو في حقيقته غزو حضاري يحيط بمختلف جوانب النشاط العقلي والمعرفي والتصوري، ويسعى إلى تدميره أو تغريبه [3].

ويكاد يقع الإجماع على أن الهويّة هي حقيقة الجزئي، أي ما كان من الجزئي مقوماً لذاته، بمعنى أنه لولاه لارتفعت حقيقته أو تغيرت، ولما كانت الهوية حقيقة الجزئي، كان تمايز الأشخاص في الوجود الخارجي بهوياتها، وقد ينصرف مفهوم الهوية إلى شيء مساو لجوهر نفسها، أ و ما تكون طبيعته كذلك، فلا يكتمل مدلول الهوية إلا في جوهر اللغة، واللغة العربية هي عنوان الأمة العربية، ورمز سلطتها الرمزية التي تكتسبها عن طريق ممارستها للشعائر

الدينية، وكما نبه (بيير بورديو) فاللغة هي رأسمال رمزي وامتياز وعنوان سيادة، وبما أنها أداة المعرفة والتواصل والوجود، فهي تُمارس سلطتها بصفتها بنية تقيم نظاماً معرفياً بالواقع، وتتميّز اللغة بخصوصية تتجلى في كونها محمولاً، وحاملاً في الآن نفسه، فهي منتوج ثقافي من جهة، ولكنها من جانب آخر تصنع الثقافة، فاللغة بالمعنى الثاني تصنع الهويّة، وتُشكلها[4]، وسيظل سؤال الهوية يفرض نفسه بقوة عندما تدخل الشعوب في أزمة عميقة لا تلوح لها مخارج قريبة تتبدى في الأفق، فتسأل من أنا؟ وما خصوصيتي، وأين هويتي؟ وأين أنا من الآخر؟ وأين هو مني؟ ولا ريب في أن ما حمله عصرنا من تطورات وتغيرات وتعقيدات في شتى المجالات الفكرية، والعلمية، والمعرفية، جعل من إشكالية الهوية موضوعاً تتقاسمه مجموعة من العلوم، وتُسهم في قضاياه عدة ثقافات، ولعل ما كتبه(كلود ليفي ستراوس) من أنها (الهويّة) تقع اليوم على أكثر من مفترق الطرق، له جملة من الدلالات، كونه يُعبر عن أزمة عميقة في الهوية، وإذا كان الفكر الغربي، بالرغم من قدراته وإمكاناته، قد طرح سؤال الهوية، فإن هذا السؤال يغدو مكتسياً أهمية استثنائية بالنسبة للمجتمعات العربية، فالإنسان إذا كان هو بالضرورة إنسان ثقافة معينة، فإن هويته تتحدد بانتمائه إلى تلك الثقافة التي يُمكن تسميتها بالثقافة القاعدية، وهناك ضرورة لربط الهوية بالعقل والنقد، وبالبعدين الخاص، والعام، حيث تكون الهوية تعبيراً عن الثبات مع الذات التي تتحول وتنمو وتتطور، انطلاقاً من أحداث مؤسسة، أو من مرحلة جديدة، وهي في اتصال مع العالم والمحيط، وأنماط الحياة، ووفقاً لهذه الرؤى، فإن الهوية لا تؤدي إلى الانطواء، والتقوقع على الذات، وإنما ينتج عنها التنشيط الدائم للذات، مع الأخذ بعين الاعتبار التغيرات الحاصلة في المحيط، لأن الإنسان يتسم بكونه لا يحيى في الماضي والحاضر فقط، بل هو كائن مستقبلي[5]. والحق أن الوصف الدقيق للهويّة هي أنها وعي الإنسان لذاته وإحساسه بانتمائه إلى مجتمع أو أمة أو جماعة في إطار الانتماء الإنساني العام، وهذا ما تؤكد عليه أغلب القرارات الرسمية العربية، في إطار سعيها لتحديد ماهيّة الهويّة، كما جاء في خطة العمل حول دور الثقافة في الحفاظ على الهويّة العربية: فلسطين نموذجاً، على سبيل المثال، والتي اعتمدتها الدورة (14) لمؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي بصنعاء(الجمهورية اليمنية)، سنة: 2004 م، والتي أكدت على أن الأمة العربية هي بالأساس وحدة لغوية، وأن اللغة مكوّن أساسي للهويّة، ويجب أن يؤخذ بالاعتبار أن الهويّة يشكلها إدراك الجماعة للمصير الواحد، والمصالح المشتركة التي تُحدد توجهات الناس، وأهدافهم وتدفعهم للعمل معا لإثبات وجودهم، وصون إنجازاتهم، وتحسين مواقعهم، واعترفت الخطة عينها بأن الهويّة ليست مثالاً ثابتاً تكوّن، واكتمل في ماضٍ ما، بل هو في حالة دائمة من التشكّل والتحوّل، والتطوّر والتأثر والتأثير، وقد تبنت الخطة المذكورة مجموعة من المبادئ نبهت فيها إلى أن تعزيز اللغة العربية، بما هي رمز للذات الحضارية، والثقافية للأمة، يحميان الهويّة، ويصونان الذات، ويرسمان صورة أكثر إشراقاً للمستقبل، فالتمسّك بالهويّة ليس قضية عاطفية، بل عملية منهجية تُشارك فيها جملة من المؤسسات الاجتماعية، تشمل الأسرة والمدرسة والإعلام، وتحكمها البيئة السياسية والاقتصادية، إذ إن الهويّة الثقافية هي ما يمنح الإنسان مشاعر الأمن، والانتماء، والاندماج بالجماعة ويزودهم بالقيّم والمبادئ، والمعايير التي تُمكنهم من التواصل، وتحقيق الطموحات المشتركة، كما أنها (الهويّة) ليست جوهراً ثابتاً، بل هي كينونة متغيّرة، حيث يعيد المجتمع الفاعل بالتاريخ والمنفعل به، تحديد هويّته ويمنحها أبعاداً جديدة، ولا يعني

تعريف الهويّة بالمتغير والمتحوّل انفصالاً عن ماض أو عن أصل وتاريخ، بل إن المجتمع وهو فاعل بالتاريخ–بالضرورة– ومنفعل به، يعيد تحديد هويّته المتوارثة المتجددة عبر الزمن، ويمنحها أبعاداً جديدة تشكّلها المرحلة التاريخية، فحماية الهويّة لا تكون بالانغلاق على الذات أو التقوقع في الماضي، ورفض التجديد [6]، والهوية مصطلح لا يخلو من غموض، رغم كثرة استعماله وتوظيفه بكثافة في شتى العلوم الإنسانية، فهو مفهوم فلسفي مهم عند المثاليين والوجوديين، وهي التي تميز الأمم، لذلك ففكرة الهوية الكونية الواحدة تعد ضرباً من الخيال، إذ يطمح إليها الداعون للعولمة، والذي يتفاءلون بها، بيد أنها ستظل حُلماً أقرب إلى الوهم، إذ تتحدد الهويّة بما تنطوي عليه من سمات وخصائص، أي أنها تتحدد بالإيجاب وبالسلب، وهي السمات الفارقة التي تُميزها في ذاتها، وتميّز غيرها عنها وتتعدد وتتنوع مصادر هذا الاختلاف، في تركيب وتداخل، يعزّ معهما الفصل بين مختلف المصادر على حدة، فالهوية تتكون من العرقي والعقدي والمهني، والاجتماعي، وحين يتم الحديث عن هوية أمة من الأمم، فهذا يعني أن هذه الأمة، قد توفر لها أمران: الأول جماعة متجانسة، أو شبه متجانسة، تؤمن بما تظنه عن نفسها، وتتشبث بحقيقتها التاريخية، وانتمائها لها، كما أن لها رموزها الخاصة، وأعرافها الدالة، والثاني: أن هذه الأمة تعيش ضمن مساحة جغرافية مُحددة، وترتبط فيها بأنساق من الروابط الاجتماعية والثقافية، التي تُشكل السياق المعرفي، والذي بفضله يتحقق وجودها، ويتغذى به بقاؤها وتطورها، حيث إن الهوية تمنح كل أمة اختصاصها الذي به تتميز عن سواها، وهذا يُفهم على أن أية هوية تنهض على الاختلاف، وعلى الوجود في التاريخ، ومن جهة أخرى، فالهُويّة تتماهى مع التاريخ، فهي تراكم معرفي وثقافي ممتد في التاريخ [7].

ب–أدب المقاومة:

إن أدب المقاومة فهو الذي يخلق من رحم المعاناة، و يولد في ظل الصراع، من أجل تأدية دوره في الكفاح؛ فهذا الأدب –حسب تعريف الباحث (غالي شكري)–هو المعبّر عن الصراع بين قوتين، وهذا الصراع ليس صراعاً بين قوتين متكافئتين، وإنما هو صراع غير متوازن، بين قوة مهيمنة يمثلها المعتدي، وأخرى مظلومة ومقهورة يجسدها المعتدى عليه، فالصراع غير متكافئ ،ولأدب المقاومة عموماً وجهه الإنساني الذي يندرج في تصويره للصراع البشري تحت أطر قومية، أو قوالب اجتماعية، والجانب الإيجابي المهم في هذا اللون من ألوان الأدب، هو أنه من عوامل التجمع ؛ فحين تكتب مؤلفة مثل: (ايثيل مانين) قصتها عن بئر السبع، وعن مأساة فلسطين، وهي الكاتبة الانجليزية ،وحين تكتب مؤلفة مثل: (هارييت بيتشر ستو) قصتها كوخ العم توم عن مأساة الزنوج في الجنوب الأمريكي ،وهي الكاتبة الأمريكية، فإنهما ينطلقان في صياغة هذه المأساة ،أو تلك من هذا المنظور الإنساني الشامل، وليس من المنظور القومي، أو الديني، أو الاجتماعي[8].

وقد عرّف الباحث (يوسف نوفل) أدب المقاومة بأنه رد فعل للهجوم أو الاعتداء أو العدوان، وليست فعلاً بل هي تابعة، كما قدم إحاطة عن أدب المقاومة ووصفه بأنه رد فعل للهجوم الذي يراد التقليل من شأنه، فهو فعل إنساني جاء ليمحو نتائج هذا الهجوم [9]، كما عرّفه الناقد (صلاح السروي)بأنه الحدث الذي تقوم عليه بنية المقاومة كفعل إنساني يحمل ملامحه السياسية والوطنية [10]، وقد ذهب بعض الكتاب إلى تعميم مفهوم أدب المقاومة، ومن

بين هؤلاء الكتّاب الكاتب والباحث سامي خشبة؛ الذي يذهب إلى أن أدب المقاومة هو كل أدب يتم إنتاجه، ويرمي إلى تأكيد قيم الحرية العقلية، أو الاجتماعية، والسياسية، ويهدف إلى إعادة الكشف عن حقيقتنا القومية من زاويتها الإنسانية [11]، كما وصفه بعض النقاد بأنه الأدب المعبر عن الذات الواعية بوجودها ودورها في مواجهة كل ما يُعيق حريتها ويسلب إنسانيتها، فالحرية والجانب الإنساني من أبرز عناصر أدب المقاومة، حيث إن الحرية هي التي ترمي إلى تنمية الضمير الحي، وتُعمق الإحساس الواعي بالحياة، وتغذي القيم المتمثلة في الرحمة والشفقة، وتحمل سلاح الهدم لكل ما يُسيء إلى كرامة الإنسان ،وكرامة الحياة ؛ فاستعادة الإنسان حريته مرتبطة أولاً باستعادة حقوقه الإنسانية، ومن هنا يظهر أهم بعد من أبعاد أدب المقاومة، وهو البعد الإنساني؛ الذي يُعبر عن الإنسان كقيمة عليا ،ويتوجه إليه مباشرة مستمداً منه مادته؛ فيصور حياته وواقع تشرده وهمومه، وحواسه، وما اعتلج في صدره عندما تمّ تهجيره عن أرضه، كما يُبرز كذلك أحاسيسه وأفكاره، وتطلعاته نحو الخلاص ،ولكي ينجح البعد الإنساني في تصوير هذا الإنسان الذي يُعاني مرارة البؤس والتشرد والقهر والتعبير عنه اتجه إلى المذاهب الأدبية؛ التي يتمكن من خلالها من التعبير عن أهدافه، وهي إبراز مشاكل الإنسان وتبيان بؤسه وتشرده، وحثه على التغيير، من أجل رقيه وسعادته والحفاظ على آدميته، ولذلك تبدت جميع هذه القضايا في الاتجاه الرومانسي الذي يبدو أنه قد فشل في تحقيق أهداف البعد الإنساني ؛ نظراً لما يعتمد عليه من المثالية ،والتحليق في سماء الخيال، والعودة إلى عصور الفروسية، والفردية التي تجعل الإنسان في معزل عن جماعته وأرضه، فمن خلال اتصال الإنسان بجماعته وأرضه يكتسب إنسانيته [12].

وقد نبّه الباحث (مفيد قميحة) إلى نقطة مهمة، وهي أن«إنسانية العمل الأدبي قد تغيرت ، ولم تعد تستمد وجودها من المثالية المطلقة، بل من الإنسان ذاته الذي يعيش ضمن الواقع، ويلتحم بالأرض بكل مقوماته الوجودية والمصيرية التي تجعل الإنسان يتجذر في تربة تاريخية ،ويتجسد بعلاقاته مع الأرض المعينة، والمجتمع المعين في إطار الزمن والمكان في الوطن ذاته ،وكلما كان العمل الأدبي أكثر اتصالاً بهذه الجذور كان أعمق وأكثر امتلاءً بعناصر البقاء» [13]، والحق أن البعد الإنساني يستمد قوته من خلال اتصاله بالأرض والمجتمع، وهناك صلة وشيجة بين البعد الإنساني، والبعد الوطني الذي يتجلى من خلال الفعل النضالي، كما يقتضي أن يقوم الإنسان بفعل المواجهة إزاء التحديات التي تُهدد وجوده، فيغالب الظروف من حوله، ويعمل على الإطاحة بكل ما يُمكن أن يعرقل مسيرته، والنيل من إنسانيته، والصراع الذي يخوضه الإنسان مع العدو؛ حتى يكون جديراً بإنسانيته هو الذي تتضح من خلاله بعض سمات البعد الإنساني، وأدب المقاومة من خلال السمات الموجودة في البعد الإنساني يجمع البشرية كلها تحت مظلة الإنسانية، وهو بذلك يعد أوسع أبعاد المقاومة؛ كونه يؤدي إلى سمة أخرى هي الشمولية؛ التي ترتكن إلى الزاوية الإنسانية العريضة، وتجعل البعد الإنساني أرحب أبعاد المقاومة، فالشمولية تنبع من أن البعد الإنساني جعل المأساة مادة له، وهذه المأساة قد يتفاعل معها من هم من جنس آخر، بسبب تعرضهم للمأساة نفسها، ومن ثم يُوحدهم الألم ويجمعهم، أو يتفاعل معها من تأثر بها من منطلق الأخوة الإنسانية، ومن علامات البعد الإنساني الصدق؛ الذي يأتي من التزام الكاتب بالدفاع عن الإنسان أيًّا كان، ومتى كان دون مصلحة أو

غرض، وهذا الالتزام مصدره إيمانه الشديد بقضية هذا الإنسان المقهور وحقه في العيش بحرية، وهذا الصدق يبعد الكاتب عن تزييف الحقائق، أو المبالغة، أو تغليط القارئ، بل يجعله يلتمس الحقائق، ويُضاف إلى هذا الأمر البعد عن السطحية والسذاجة [14]، حيث إن الرواية حين تكتسب عناصر ومكونات أدب المقاومة، وتكون إنسانية يجب أن«تتلافى التورط في وهاد السذاجة والسطحية والإبقاء على العنصر السياسي فحسب، بمعنى: أنه يتعين الإحاطة الشاملة بكافة أبعاد التجربة وتشابكها المعقد، لإحراز الصدق الفني-أخطر شروط العمل الأدبي- كذلك ينبغي أن يتبدى في معاناة التجربة وعي عميق بجوهرها الإنساني العام، الذي ينفذ ببساطة إلى ضمير العالم كله... فتكون الرواية قد أخلصت للدلالة الكلية في مأساة ما-كفلسطين مثلاً-، واستطاعت تقديم خلاصة مأساة العصر لأي إنسان في أي مكان من أرجاء الدنيا»[15]، وقد حظي أدب المقاومة باهتمام واسع من لدن مختلف الباحثين والدارسين بسبب الاهتمام بالأبعاد الفنية والشكل الفني مع المضمون، حيث إن الرواية، وحتى تتسم بالإنسانية يجب أن تتجاوز حدود الزمان والمكان، وتحفظ لذاتها سيرورة وخلوداً فغنها يجب أن تمتلك قدراً من الفنية، حيث إن نبل الموضوع لا يكفي وحده ،فضلاً عن المنطق الإنساني[16] الذي يقنع القارئ.

ثانياً: تسريد الهُويّة في رواية:(وداع مع الأصيل) لفتحيّة محمود الباتع:

تعد القضية الفلسطينية واحدة من أبرز القضايا التي اهتم بها الأدباء العرب، فقد رافق الإبداع العربي قضية فلسطين منذ ظهورها على المسرح العالمي في العشرينيات من القرن الماضي، وكان ثلة من الروائيين والشعراء العرب يستغلون كل مناسبة لتأييدها، وقد تابعوها في جميع مراحلها، وأطوارها المختلفة منذ إعلان « وعد بلفور»،سنة: 1917 م، مرورًا بانتفاضات الشعب الفلسطيني في الثلاثينيات، ثم رفضه قرار التقسيم، وقد وقف جملة من الأدباء العرب إلى جانب فلسطين والعرب أثناء حرب: 1948 م، ونكسة: 1967 م، ثم تجاوبوا مع انتصارات الثوار الفلسطينيين، وأبطال المقاومة، وأطفال الحجارة بعد ذلك حتى اليوم، فمن يطلع على النتاج الأدبي العربي يُلاحظ أنَّ عدداً غير قليل من الأدباء العرب لم يكونوا معزولين عن قضايا أُمتهم العربية، على الرُّغم من الجدار الحديدي الذي ضربه حولهم الاستعمار في كثير من الدول العربية، و لا نغالي إذا قلنا إن النتاج الأدبي العربي شعرا ونثرا، في القرن الماضي دار في معظمه حول ثلاثة محاور: الوطنية، والعروبة، والوحدة العربية، وفلسطين[17]، وتتميّز رواية: (وداع مع الأصيل) لفتحيّة محمود الباتع، بحضور طافح لروح المقاومة؛ إذ تُجسد بعمق روح الهوية العربية في فلسطين المحتلة، فأحداثها تدور في الربوع الفلسطينية، ولاسيما في مدينتي (حيفا)، و(يافا) الفلسطينيتين قبل الاحتلال، وتُبيّن الجرائم المرتكبة في حق الشعب الفلسطيني من لدن القوات الصهيونية المحتلة، وتبرز دور المقاومة الفلسطينية، فالقارئ لهذه الرواية الشائقة تعترضه قضايا متنوعة تناولتها الروائية تتصل بأسئلة الهوية وتجلياتها، وصُورة المقاومة الفلسطينية، وتُبرز دور المجاهدين الفلسطينيين ، وتستحضر بطولاتهم منذ القرن المنصرم ، وتبرز مواكبة عائلة فلسطينية لتطورات القضية الفلسطينية منذ بداية العشرينيات من القرن الماضي، وإلى ما بعد قرار التقسيم ،وما تبعه من حروب شارك فيها أبناء الشعب الفلسطيني، وبذلوا جهوداً جبارة من أجل تحرير وطنهم ،وتعود بنا أحداثها إلى ما قبل قرار تقسيم فلسطين، والصادر في شهر نوفمبر/تشرين الثاني 1947 م، حيث تُسلط الرواية الضوء بدقة على اندلاع الثورة

الفلسطينية الشعبية سنة: 1936م، والتي انطلقت بالإضراب العام في مدينة يافا ،وتبرز التحولات التي وقعت بعدها، وتبيّن روح المقاومة من خلال عائلة فلسطينية شريفة تعيش بين مدينتي(حيفا)، و(يافا)، وتنطلق من الثورة الشعبية الفلسطينية سنة: 1936 م، والتي صاغت أهدافها اللجنة العربية العليا في شكل مطالب: إيقاف الهجرة اليهودية ،ومنع انتقال الأراضي إلى اليهود، وإنشاء حكومة وطنية نيابية ،وقد استمرت إلى غاية: 1939 م، فقد جاء في مستهل الرواية بعد وصف مدينة(حيفا) الفلسطينية، وتسليط الضوء على عائلة (نجلاء): «...وكانت الفتاة صبية هيفاء دون العشرين على جانب عظيم من الجمال ، مات أبوها وهو يُدافع عن وطنه في موقعة نشبت بين العرب واليهود ، في ثورة عام: 1936 م، واقتدى به أخوها ،فانتهت حياته على حبل المشنقة شهيد وطنه ،وباتت الفتاة منذ ذلك الحين يتيمة لا تعرف إلا أمها التي تعيش في كنفها...»[18]، ومنذ البداية تبرز روح المقاومة والنضال في الرواية ؛ إذ تسعى الروائية الفلسطينية (فتحيّة محمود الباتع) إلى إبراز مقومات الهُوية الفلسطينية، وتُقدم صورة سيئة عن الخونة، والمتواطئين مع اليهود ،حيث جاء في صفحاتها الأولى: «...وقالت سلمى لأمها وهي ترنو بعينيها الجميلتين إلى ذلك القصر وأضوائه المتلألئة وتطرق أذنيها أنغام الموسيقى والغناء المنبعثة من نوافذه: (انظري يا أماه القوم في هرج ومرج واليهود يعدّون الحصون ويحكمون لها البناء).وقبل أن تجيبها أمها بشيء التفت إليها حامد الذي جاء وزوجته لزيارتهما، وقال: (أين هي الحصون والاستعدادات يا بنيتي ؟). تحولت الفتاة بنظراتها إليه وقالت وهي تشير بسبابتها إلى بناء أشبه ببرج هائل يقع على سفح الجبل: (تلك القلعة يا عمّاه التي أعدها اليهود لتكون حصناً لهم في الأيام المقبلة). قال الرجل في شيء من الدهشة: (ولكنها يا بنيّتي هي كما تعلمين سوق للخضروات اتخذها اليهود لهم). قالت: (أي سوق هذه التي لا منفذ لها سوى هذه الطريق الصغيرة المثبتة في أعلى جدرانها السميكة؟). وقالت نجلاء مؤيدة قول فتاتها: (نعم يا أخي حامد، إن حصون اليهود كثيرة، وهم لا يغفلون عنها، ولا يهملون إنشاءها، ولو أدرك صاحب هذا القصر من الذين أعماهم الجشع، وأغراهم المال فظاعة جرمهم، وهول ما يُقدمون عليه طلباً للثراء وما له من العواقب الوخيمة على البلاد وأهلها الأبرياء لفضّلوا حياة البؤس والفقر على الانغماس في الترف واللذات). فصمن حامد برهة، ما لبث بعدها أن قال: (أو تعتقدين يا أختاه أن شكري بك جمع ثروته هذه عن طريق غير كريمة؟).. واستدرك قائلاً: (لا أظن ذلك). فصمتت نجلاء ولم تجب بشيء، بينما ردت سلمى قائلة: (أتظن يا عمّاه أن ثروة هذا الرجل نزلت عليه من السماء؟)»[19] .

وقد قدمت الرواية صورة قاتمة عن بعض الفلسطينيين الذين تعاونوا مع اليهود بعد الثورة الشعبية التي انطلقت عام: 1936 م، وقبل صدور قرار التقسيم سنة: 1947 م، وذلك من خلال شخصية (شكري بك) المتعاون مع اليهود، والمحب للمال حيث عكست صفات الشخصية اليهودية على صفاته، وميوله في تلك الفترة ، فمن المعروف أن الشّخصيّة اليهوديّة تتميز مكوّناتها الكبرى «بحبّ المال واكتنازه ،والحرص على جمعه ،والشّحّ الشّديد في إنفاقه ،والتّضحية بكلّ القيّم في سبيل الحُصول عليه؛ بالإضافة إلى اتّصاف هذه الشّخصيّة بالمكر، واتّسامها بالقدرة على شدّة الاحتيال لبلوغ المآرب، وقضاء الحاجات ،ولقد عُرفت شخصيّة اليهوديّ ببعض هذه الصّفات السيّئة، أو بهذه المثالب، أو بكثير منها ،أو قل بأكثر من ذلك ممّا لم يذكر هنا: منذ الأزل ،فقد ألفينا في كتاب: (التيجان) الذي

تُعزى روايته إلى وهب بن منبه ما يُثبت أنّ اليهود كانوا أهل مكر واحتيال منذ القرون الأولى لتكوّن الحضارة في شبه الجزيرة العربيّة والشّام... »[20] .

إن جميع صفات الشخصية اليهودية المعروفة بحب المال والمكر والخداع، ألصقتها الروائية فتحيّة محمود الباتع، في شخصية (شكري بك)، حيث جاء في الرواية على لسان نجلاء: «قالت الفتاة بحدة: (ما هذا الذي أسمعه منك يا عماه، كيف لا يضيرنا ويؤذينا أن يكون بين المواطنين خائنون، يبيعون دينهم ووطنهم من أجل حفنة من الذهب؟ لا ، إنهم بعملهم هذا يُفسحون المجال لليهود الذين يفدون من الغرب وجميع الأقطار أفراداً وجماعات، ليغدقوا على أولئك الحمقى ذهباً يشترون به البلاد، ويغضب لذلك أمناء فلسطين الأحرار، فتضطرب الحياة الآمنة، وتندلع الثورات، وتحول أرض البلاد إلى مذابح وبراكين دامية تروي ثراها دماء الشهداء من أبنائها ، وبذلك يدفع القوم الأبرياء أرواحهم ودمهم ثمناً لأمثال هذا الترف والثراء، ويذبح منهم من يذبح في المعارك التي تنشب بينهم وبين اليهود ،ويشنق منهم من يشنق بأيدي المستعمرين الذين يطاردون الثوار والمجاهدين، فتبيت الأطفال يتامى، والأمهات ثكلى بأبنائها ، وترمل الزوجات، كما حدث في ثورة عام: 1936 م يوم أن ذبح الأنذال اليهود أبي وهو يُدافع عن وطنه في موقعة نشأت بينهم وبين العرب. ثم شنق الانجليز أخي وغيره من الشبان المجاهدين، وقد كُنتُ طفلة غريرة يومئذ، ولكن أمي حدثّتني بكل شيء. فإن لبثت هذه حالنا يمدّنا اليهود بالذهب ونمدّهم بالأرواح والدماء، خارت قوانا وقويت عزائمهم، وثبتت بلا ريب أقدامهم، واتسعت مطامعهم، ويجيء يوم يطالبوننا فيه بالجلاء عن أرضنا وديارنا). وصمتت وقد عشيت عينيها الدموع، وغمغمت قائلة، وهي تعاود النظر إلى ذلك القصر الحافل: (سيدفع هذا الرجل، صاحب اللقب الأجوف، حياته ثمناً لفداحة جرمه كما حدث لأمثاله من قبله)»[21].

وقد عكس هذا الحوار الذي جاء عقب ثورة سنة: 1936 م، مطالب اللجنة العربية العليا المتمثلة في إيقاف الهجرة اليهودية ،ومنع انتقال الأراضي إلى اليهود، فرواية(وداع مع الأصيل) لفتحيّة محمود الباتع عمل روائي وفني قائم بذاته يستلهم التاريخ، ويتناوله بروح المقاومة والنضال، وبمفهوم إنساني يستوعب الحركة الكلية للمجتمع الفلسطيني في الماضي ما بين: 1936-1947 م، فهي قراءة للماضي على ضوء الوعي الجديد، ومكان الرواية هي فلسطين المغتصبة، ومدنها حيفا ويافا ورام الله، ومضمونها ينهض على إشارات رمزية ذكية وموحية تبيّن طرائق اقتحام اليهود على العرب عقر ديارهم، بعد هجرتهم، وتبرز كيفية تسلُّلهم إلى فلسطين قبل احتلالها، وتوضح كيفيّة استيلائهم على أراضي الفلسطينيين بالتّرغيب والتّرهيب طوراً، وبوسائل شتى متنوعة؛ فالأديبة فتحيّة محمود الباتع تمكنت من تحقيق جملة من الغايات الفنية والفكرية في رواية : (وداع مع الأصيل)؛ فللرواية دلالة تاريخية ظهرت عن طريق استلهام الماضي الفلسطيني، وتناوله من خلال منظار متميز ؛ إذ أنها وظفته في إعادة بعث الواقع وللرواية كذلك قيمة فنية، حيث أبدعت الكاتبة في صياغتها، وحققت مقولة (جورج لوكاتش): «ليس إعادة سرد الأحداث التاريخية الكبرى، بل الإيقاظ الشعري للناس الذين برزوا في تلك الأحداث» [22]، وقد عبّرت الرواية عن هموم الإنسان الفلسطيني، وما يُعانيه من قهر، ونفي وامتهان، وتشرد، داخل وطنه على أيدي العصابات اليهودية، وغوص الروائية في الماضي هو بمثابة تأريخ لتحولات القضية الفلسطينية، ومأساة الشعب الفلسطيني، ولكن بشكل غير مباشر،

وبأسلوب فني جديد ،عن طريق الاسترجاع، والتداعي، والحوار الداخلي، ويُرجع بعض النقاد أسباب التركيز على كتابة التاريخ العربي روائياً إلى عجز المؤرخين، فقد وجد كاتب الرواية العربيّة نفسه، وهو يقوم بدور المؤرّخ للحياة العربيّة الحديثة، والمعاصرة، لأنّ التاريخ الذي يكتبه المؤرخون–كما يرى الناقد بورايو– أصبح عاجزا عن استيعاب حركيّة المجتمعات العربيّة في العصر الحديث، ومواكبتها؛ وذلك لأسباب متنوعة، من بينها:

–التّسييس المبالغ فيه للكتابات التّاريخيّة العربيّة في مختلف البلاد العربيّة.

–ارتباط كتابة التاريخ في المجتمعات العربيّة بالإيديولوجيا المهيمنة، وبالمؤسّسة الرّسمية (الثّقافية، أو التعليميّة) التي كثيرا ما تصطنع الحدود، والقيود، وتلجأ إلى الانتقاء، والتوجيه السّياسي المباشر.

ولهذا كله يمكن القول: إنّ الطبيعة الملحّة لهذه العلاقة بين التاريخ، والرّواية جعلت هاجس التاريخ يتلاحم في النص السردي العربي، وخاصة في الرّواية العربيّة الحديثة، وكذلك سكن التاريخ في الرواية من اجل قول المسكوت عنه، وتوافر إمكانية تضليل الرقيب، بادعاء أن الفن الروائي خيال، ولا صلة له بالأحداث الحقيقية التي مضت، ومن جهة أخرى بغرض النفاذ إلى عمق الظاهرة التاريخية عن طريق إبراز ما تم إغفاله، وإهماله في التاريخ الاجتماعي من قبل المؤرخين الرسميين منذ القديم[23].

إن الرواية والتاريخ كلاهما يتصل بأبعاد تاريخية، ولغوية، فقد رضعا من ثدي واحد هو الخبر، الذي يثير إشكالات متصلة بالإعلام، والإعلان، وهما (الرواية التاريخ) مرهونان ببعد تاريخي متحول، ويقوم على أنه متغير، وقد تأثرت الكتابة التاريخية، والرواية التاريخية ببعضهما البعض خلال القرن التاسع عشر، ثم تطورت الرواية التاريخية، ومضت نحو اتجاهات، وأشكال روائية أخرى، وانفتحت على أجناس شتى، كما اتخذ التاريخ أشكاله المتنوعة بدوره، بيد أن هذه العلاقة الزمنية، واللغوية، والسردية ما زالت تسكنهما بدرجة، أو أخرى، فعندما يستخدم الروائي المادة التاريخية الموثقة في نصه السردي، تنتقل من مستوى الوثيقة بالمعنى التاريخي إلى مستوى النص–السرد الروائي الذي يُساعد التخييل على خلق تصورات تتصل بالجانب الجمالي، ويقترب بها القارئ من الزمان والمكان، بل إنه يُلفي لتخييله وجوداً ،وكياناً واقعياً، ثم يذهب بعيداً وراء الأحداث السياسية، والاجتماعية ،لمحاولة فهم وتمثل الواقع المعقد في تجلياته الحميمية، والعميقة جداً، إذ أن السرد الروائي حينما يصوغ حكاية تاريخية بطرائق ناجحة لا يختزل التاريخ، ولكنه يُوضح ما تم إهماله ونسيانه، وفي بعض الحالات يُبدد بعض شكوكه، وفي حالات أخرى يسقط في المحظور التاريخي، ويخرج التخييل عن معقوليته التي قد تحرف الوقائع وتُزوّر الأحداث التاريخية [24]، وتتميز الرواية برحابتها، واتساعها، وقدرتها على الاحتواء، من خلال تضمين الأحداث التاريخية المتشابكة، والتي قد يعجز جنس آخر من الأجناس الأدبية على التعبير عنها بطريقة واضحة، فهي عالم رحب، وهي فن القرن العشرين بامتياز، وهو القرن الذي شهد احتفاء بالتاريخ من عدة جوانب، ولاسيما منها الجانب العلمي والمنهجي، وليس يخفى أن فن الرواية عرف كثيراً من الجدل والنقاش فيما يتصل بمهمة الرواية، فهناك ظواهر كثيرة تشغل الذهن، مثلاً الحالة الأولية للخيال الروائي، وماهية دور السرد، ومشاكل الراوي المختلفة، وسلطته المزعومة على النص، ويضاف إلى هذا علاقة البنى التخييلية للنص الروائي بسائر الأنواع الأخرى من بنى الكتابة النثرية، وفي مقدمتها الكتابة التاريخية، وكتابة السيرة

الذاتية[25]، ولعل الفارق الرئيس الذي يثيره مصطلح (الرواية التاريخ) هو أن التاريخ خطاب نفعي يرمي إلى الكشف عن جملة من القوانين المتحكمة في تتابع الوقائع، وتلاحم الأحداث، بينما الرواية يغلب عليها الخطاب الجمالي، ولذلك تبرز فيها الوظيفة الشعرية أو الإنشائية، على حساب الوظيفة المرجعية التي تتبدى في التاريخ. ومن هنا حاول بعض المفكرين، والنقاد كشف النقاب عن هذه الإشكالية التي تبدو في بعض جوانبها مستعصية، فقدموا عدة تصورات تتصل بالتحويل الذي تُمارسه الرواية على الخطاب التاريخيّ [26]، وقد ظهرت الشخصية المناضلة، والمقاومة بشراسة من خلال شخصية (وليد)، وهو ابن (شكري بك) الذي تعامل مع اليهود، ويتلاحم أبناء الشعب الفلسطيني ضده ، إلى درجة محاولة قتله بعد ما فعله بابنه المناضل، والمقاوم، فوليد هو الشّخصيّة المركزيّة في الرّواية، وهو أيضاً الشخصية المحوريّة التي تستقطب من حولها كلّ الشخصيات الأخرى، ويجب الإشارة إلى أن عملية التجريب في الرواية قد افتحت على مصرعيها بعد انتقال المعلومات العابرة للقارات، وازدياد وتيرة الأفكار الجدلية المخترقة للأزمنة[27]، ولاشك في أن الرواية التفاعلية جنس أدبي تولد من رحم التكنولوجيا، وتكون من العوالم الافتراضية[28]، ولعل قراءة وتأويل نص الرواية وفق المنظور النقدي السوسيولوجي له أسباب من أهمها الكشف عن مظاهر الرؤية للواقع المجتمعي[29].

الخاتمة:

لقد توقّفنا في هذه الورقة مع بعض تجليّات الهُوية والمقاومة في الأدب الفلسطيني المقاوم، من خلال رواية (وداع مع الأصيل) لفتحيّة محمود الباتع، وبعد هذه الجولة تجدر الإشارة إلى أهم ما توصلنا إليه في دراستنا:

– إنّ النص السردي: «وداع مع الأصيل» يعد من بين الروايات العربية التي أبرزت روح الهُوية الفلسطينية، وبيّنت أشكال المقاومة لدى الشعب الفلسطيني المقاوم، وهي تعد من بين الروايات المهمّة جدا، فهي نص جاد، ورصين للغاية، وصادق جدّا، وعميق في استوائه البسيط، وفي الآن ذاته فهوّ مستفز، ومثير للذّكاء، وفيه بداهة شعبيّة، وفي نظرنا أنه مازال بحاجة إلى تحليلات، ودراسات أخرى، وهو حريّ بأن يحظى بقراءات نوعيّة، ومتنوّعة؛ نظرا لعمق رؤاه، وقوّة بنائه السّردي.

– ما يُمكن ملاحظته عن طبيعة البناء في رواية: «وداع مع الأصيل»، أنه يرتكز على شخصيّات بسيطة تنتمي إلى المدن الفلسطينية المحتلة من قبل الكيان الصهيوني، وقوة البناء الفني في هذه الرّواية ليست محض صدفة، بل لها سيّادة المهيمنة الرّوائية، وبصفتي قارئا منتجا بدا لي أن المحرك الفاعل في هذا النص هيّ الشّخصية الرئيسة في الرواية (وليد).

– تعدّ رواية «وداع مع الأصيل» أنموذجا نصّيا ناضجا؛ فقد استطاعت أن تجسّد بحق، وصدق عوالم المدن الفلسطينية أثناء المواجهات مع العصابات الصهيونية المحتلة، وتمكّنت من نسج جدليّة متلاقحة بين الواقعي، والخيالي، وبين الأحلام، والملموس، وبين العقلي، واللاّ عقلي، وتتجلّى جماليّة السّرد في هذه الرّواية في مزاوجتها بين الغرائبي، والأسطوري كما تبدى في بعض محطاتها.

– استوحت الرّوائية فتحيّة محمود الباتع مجموعة من المحكيّات الشّعبيّة المرتبطة بالأنساق الثقافية الفلسطينية، كما استعارت بعض الخطابات التاريخيّة، والصّوفيّة، واستثمرت بلاغة الشّفوي، وعلامات التّشكيل، وتقنيّات السّينما، وأعادت الاعتبار لأسئلة الذّات في تماسها مع عوالم المجتمع.

– تبدو تجربة الرّوائية فتحيّة محمود الباتع من خلال رواية: «وداع مع الأصيل» متوافقة مع "الميثاق السّردي" في بعض محطّات النّص السّردي، كما تظهر متمردة عليه في الآن ذاته في جوانب أخرى.

–يظهر أن الرّوائية فتحيّة محمود الباتع، ومن خلال هذا النّص السّردي «وداع مع الأصيل»، وكأنها تبحث عن أشكال جديدة للكتابة الرّوائيّة، حيث تسعى إلى تجديد الواقعيّة، وتجسيدها عن طريق إشارات، وعلامات تتخطّى التّحولات، وتعيد تشكيل المتخيّل من خلال توظيف العجائبي، والأسطوري في بعض المواقف.

–تتعدد مستويات السرد، وتبدو الرّوائية فتحيّة محمود الباتع، وكأنها تُشخّص الواقع عبر التقاط التّفاصيل المهمّشة، والعوالم الخفيّة في المدن الفلسطينية، كما أنها تقوم بصيّاغة المحمولات الثّقافيّة بمختلف امتداداتها في الذّاكرة، والوعي، والجسد.

– مثّل الملفوظ السّردي لرواية: «وداع مع الأصيل» قسما من البناء العام للعوالم الرّوائيّة التي اجتهدت الرّوائية فتحيّة محمود الباتع في ترسيخ قواعدها، وإرساء أسسها، وإيضاح ملامحها، فلقد لاحظنا أنّ جملة من الموضوعات السّردية متجلّية، وبارزة في مفردات البناء الفنّي، وفي طليعتها البيئة الفلسطينية، من خلال المدن الفلسطينية المحتلة ،و التي شكّلت الفضاء الرّوائي الأثير، والدّائم لدى الرّوائية فتحيّة محمود الباتع، فضلا عن الموروث الاجتماعي الذي تتناقله الأجيال، وتحرص على المحافظة عليه في شكل طقوس احتفاليّة، واحتفائيّة تقترب أحيانا من أجواء أسطوريّة وعوالم عجائبيّة تتّسم بالغرابة.

– عمدت الرّوائية فتحيّة محمود الباتع في رواية: «وداع مع الأصيل» إلى اختزال عوالم النّص السردي، وأجواء الفضاء الرّوائي في شخصيّة محوريّة هيّ شخصيّة (وليد)، ممّا أسهم في تقويّة تركيز القارئ في موضوعات محدّدة، كما منح روايتها دقّة في تناول الموضوعات الرّئيسة المتصلة بالمقاومة وتعزيز الهُويّة الفلسطينية، واختزال الدّلالات البعيدة في شخصيّة أساسيّة، وهذا ما منع تشتّت ذهن المتلقّي، وجعله ينشغل بهموم الشّخصيّة الرئيسة (وليد)، وقد انعكس هذا الأمر على فضاء الرّواية الذي بدا محدودا، ومنكمشا في عوالم القرية، وظهر في صورة ضيّقة، مما يُذكّرنا بالفضاء المسرحي.

– ما يلفت النّظر في رواية «وداع مع الأصيل» هوّ ذلك التّضاد الماثل في الشّخصية المحورية الرئيسة (وليد) ووالده (شكري بك)؛ إذ شكّلت الشّخصية الثانية صورة القبح، والخيانة، ومثّلت الشّخصية الأولى دلالات الوقار، والوطنية والمقاومة، والمحافظة على الهُوية، واقتربت من المثاليّة، وهنا تظهر المفارقة في اجتماع الضدين.

–تميزت الروائية فتحيّة محمود الباتع برُقي وصفها، ودقته التي وصلت إلى درجة فنية عالية، وبدت لغة المؤلفة الفصحى سهلة وبسيطة، وابتعدت عن الغرابة والتعقيد.

– لقد بدا (وليد) في رواية «وداع مع الأصيل» القيمة المهيمنة الأساسيّة، والعنصر الرّئيس من خلال سيّاق البنية السّيميائية المنبعثة من مواقع تطور أحداث الرّواية.

– وظّفت الروائية في روايتها مجموعة من تقنيّات السّرد، ومن أبرزها: الاستباق، والاسترجاع، والمشهد، والإجمال، والحذف، ولاشكّ في أنّ النّص السّردي منوط بتوفير جملة من العناصر والشروط، وهيّ شروط قويمة تعمل على تأثيره في المتلقّي، ونجاحه، وتميّزه، وقد سعى النقاد إلى إيضاحها، وتبسيطها. وبعض المصطلحات السّردية تداخلت، وجلّها يشير إلى التّعبير عن الأحداث في النّص السّردي بكيفيّات، وطرائق مختلفة.

– كشفت الدّراسة في قراءتها السّيميائية لرواية «وداع مع الأصيل»، عن تداخل خطابات عدّة في هذا النص السّردي ،و من أبرزها: الاجتماعي، والإيديولوجي، والخلقي، وغيرها...، وقد ارتبطت البنية اللّغوية في رواية: «وداع مع الأصيل» بجملة من المعاني ،والدّلالات العديدة، منها: التراثي، والشعبي، والدّيني، والتّاريخي، والاجتماعي، وتبدّى لنا أنّ هذه الرّوافد، والمداخل الثّقافية، والحضاريّة التي تجلّت في النّص السّردي أسهمت في توسيع الحقل الروائي، ونمّت مدارك القارئ الفكريّة، وقدّمت له إحاطة بعوالم البيئة الفلسطينية، كما بعثت الشخصيات الحياة في المكان، وامتزج في محطّات كثيرة بشكل تفاعلي مذهل معها.

– جسّدت الروائية فتحيّة محمود الباتع الموروث الشعبي، والتراثي في نصّها السردي «وداع مع الأصيل» ومن خلال قراءتنا السّيميائية للرواية ،ظهر لنا أنّ إبراز بعض عناصر هذا الموروث يعدّ قراءة جديدة للنتاج الأدبي ، ذلك أنّ الرواية سواء أكانت موروثا، أو نصاً معاصراً؛ فهيّ ترتبط بتحوّلات المجتمع ،وتاريخه، ووجوده، وهُـويّته، ويظل التراث دائما صفة مميّزة من صفات تشكّل الهويّة، وتوظيف الرّوائية فتحيّة محمود الباتع للموروث الشّعبي من عادات، وتقاليد سائدة في المجتمع الفلسطيني بدا واضحا في هذا النّص السّردي.

– يقوم فن السرد في رواية (وداع مع الأصيل) في بعض المحطات على تضمين حكاية داخل حكاية أخرى، بوساطة قنوات نقل الخبر، أو الاسترجاع، الذي يُراد به إيقاف عملية القص والرجوع إلى الوراء لاستحضار أحداث مُنصرمة وقعت في الماضي، تفصلنا عنها مسافات قد تقصر أو تطول، وقد استلهمت الروائية فتحيّة محمود الباتع في بعض محطات الرواية أسلوب السرد العربي القديم باستدعائها أساليب القدماء في الرواية.

–نوّعت الروائية فتحيّة محمود الباتع في الأشكال الأساسية للحركة السردية، وهذا ما يندرج في إطار ما يُعرف باسم: (الديمومة)، والتي تعني دراسة الصلة القائمة بين الحيّز الذي تستغرقه الأحداث في الحكاية– أي في زمن الخبر–والحيّز الذي تمتد عليه في النص–أي في زمن الخطاب–.

– إن القارئ لرواية: (وداع مع الأصيل)، سيكتشف جملة من الأجواء التي تُبرز واقع المدن الفلسطينية المحتلة، ومن خلال أحداث الرواية ووقائعها، نلمس خضوعها لثنائيات عديدة، منها: الكراهية والحقد–التسامح والعفو الفوضى والاضطراب–النظام والانسجام، الحرمان والفقدان–المتعة والتملك، الفقر–الثراء، الجهل–العلم، الظلام–النور، الخلاعة–المحافظة، القبح–الجمال...إلخ، وقد مكّنت هذه الثنائيات الكاتبة الروائية فتحيّة محمود الباتع من رصد ما يدور من عوالم في فضاء المدن الفلسطينية التي تدور فيها أحداث الرواية؛ حيث إن الرواية لا يكتب

لها النجاح، إلا إذا أحسن الكاتب انتقاء الحيز المكاني، الذي تجري على ركحه الأحداث والوقائع، والتحولات، وتتحرك في فضاءاته الشخصيات المتباينة، ومن ثم فالمكان يقتضي، ويفرض علينا ضرورة أخذه بعين الاعتبار، فهو يؤثر ويتأثر، ويتفاعل مع شخصيات الرواية، وأفكارها، كما يحدث احتكاكاً، وتفاعلاً مع الكاتب الروائي نفسه.

المصادر والمراجع:

المصدر: الباتع، فتحيّة محمود، (1981م)، وداع مع الأصيل، منشورات الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر.

المراجع:

بوحسن (أحمد)، (2010م)، الروائي والتاريخي في رواية (كتاب الأمير: مسالك أبواب الحديد)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب الأقصى.

حسني (محمود)، (2019م) المقاومة في الرواية الفلسطينية من عام:1960 إلى عام:1987م، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

خشبة (سامي)، (1997م)، شخصيات من أدب المقاومة، منشورات دار الآداب، لبنان.

السروي (صلاح)، (2002م)، الذات والعالم، دراسات في القصة والرواية، منشورات الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر.

شكري (غالي)، (1979م)، أدب المقاومة، منشورات دار الآفاق، لبنان.

نبهاني (صبحي)، (1990م)، البعد الإنساني في رواية النكبة، منشورات دار الفكر، مصر.

نوفل (يوسف)، (2002م)، أدب المقاومة إرهاصاً وأصداءً، منشورات مؤسسة دراسات وأبحاث، مصر.

الهوامش والإحالات:

[1] فيروز مامي زرارقة وحكيمة عدال: الاغتراب اللغوي في الوطن العربي بين المرجعية الدينية وعصر المعلوماتية، دراسة منشورة ضمن كتاب: الأنساق اللغوية والسياقات الثقافية في تعليم اللغة العربية، أعمال المؤتمر الدولي الأول لتعليم العربية بالجامعة الأردنية:22-2014/4/24م، مج:02، منشورات دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، ومركز اللغات بالجامعة الأردنية، عمّان، الأردن،2014م، ص:718.

[2] سليمان إبراهيم العسكري: لغتنا وتحديات الثقافة المعاصرة، مجلة العربي، مجلة ثقافية شهرية تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد:656، شعبان1443هـ/يوليو2013م، ص:12.

[3] نذير حمدان: بحوث في الغزو الفكري: المجالات–المواقف (اللغة العربية)، منشورات دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، المملكة العربية السعودية، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت، لبنان، ط:01، 1410هـ/1990م، ص:9 وما بعدها.

[4] حسن بدوح: هوية اللغة...لغة الهوية–في الخلفيات الثقافية للغة العربية–، مجلة الرافد، مجلة شهرية ثقافية جامعة تصدر عن دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة، الإمارات العربية المتحدة، العدد:224، جمادى الآخر/رجب1437هـ، ابريل2016م، ص:12 وما بعدها.

[5] الزواوي بغورة: الهوية والعنف في الخطاب الثقافي الجزائري، مجلة العربي، مجلة ثقافية شهرية تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد:599، شوال1429هـ/أكتوبر2008م، ص:24 وما بعدها.

[6] ينظر: خطة عمل حول دور الثقافة في الحفاظ على الهويّة العربية: فلسطين نموذجاً، والتي اعتمدتها الدورة(14) لمؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي بصنعاء (الجمهورية اليمنية)، سنة:2004م، منشورة في المجلة العربية للثقافة، مجلة تصدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (إدارة الثقافة)، تونس، العدد:54، مارس2009م، ص:149 وما بعدها.

[7] محمد عبد الباسط عيد: الثقافة. التراث والهوية-مقاربة ظاهراتية-، مجلة الرافد، مجلة شهرية ثقافية تصدر عن دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة، الإمارات العربية المتحدة، العدد:216، شوال1436هـ/أغسطس2015م، ص:16.

[8] غالي شكري: أدب المقاومة، منشورات دار الآفاق، بيروت، لبنان، ط:1979،02م، ص:179، وص:8.

[9] يوسف نوفل: أدب المقاومة إرهاصاً وأصداءً، كتاب الأدب وحوار الحضارات: دراسات وأبحاث المؤتمر الخامس لأدباء القناة وسيناء وبورسعيد، مصر، مايو 2002م، ص:25.

[10] صلاح السروي: الذات والعالم، دراسات في القصة والرواية، منشورات الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر،2002م، ص:334.

[11] سامي خشبة: شخصيات من أدب المقاومة، منشورات دار الآداب، بيروت، لبنان، 1997م، ص:6.

[12] محمود حسني: المقاومة في الرواية الفلسطينية من عام:1960 إلى عام:1987م، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط:2019،01م، ص:20 و28.

[13] مفيد محمد قميحة: الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط:1981،01م، ص:45.

[14] محمود حسني: المقاومة في الرواية الفلسطينية من عام:1960 إلى عام:1987م، ص:30 وما بعدها.

[15] صبحي نبهاني: البعد الإنساني في رواية النكبة، منشورات دار الفكر، القاهرة، مصر، ط:01، 1990م، ص:24 وما بعدها.

[16] محمود حسني: المرجع السابق، ص:32 وما بعدها.

[17] عبد الله ركيبي: فلسطين في النثر الجزائري الحديث، مجلة الثقافة الجزائرية، العدد: 27، جوان – جويلية، 1975 م، ص: 37.

[18] فتحيّة محمود الباتع: وداع مع الأصيل، منشورات الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع ط:02، الجزائر،1981م، ص:8.

[19] فتحيّة محمود الباتع: وداع مع الأصيل، ص:12-13.

[20] عبد الملك مرتاض: الشّخصيّة اليهوديّة في رواية: جسر بنات يعقوب، دراسة منشورة في كتاب: هؤلاء أصدقائي –ملامح من ذكرياتي مع الأدباء العرب–، منشورات دار البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر،2013م، ص:219.

[21] جورج لوكاش: الرواية التاريخية، ترجمة: صالح جواد الكاظم، وزارة الإعلام، بغداد، 1978م، ص: 46.

[22] انشراح سعدي: حول علاقة الرواية بالتاريخ(ندوة)، مجلة الفيصل الأدبية، ملحق فصلي يصدر عن مجلة الفيصل بالرياض، المملكة العربية السعودية، المجلد الثاني، العدد المزدوج:3-4، جمادى الأولى-رجب/شعبان-شوال1427هـ، ص:119.

[23] استقينا هذه المعلومات من شهادة الناقد الدكتور عبد الحميد بورايو في ندوة علاقة الرواية بالتاريخ، مجلة الفيصل الأدبية، العدد المزدوج:3-4، جمادى الأولى-رجب/شعبان-شوال1427هـ، ص:120.

[24] عبد الحميد بورايو: التوليف بين التاريخ الشخصي والتاريخ الواقعي، شهادة في ندوة علاقة الرواية بالتاريخ، المرجع نفسه، ص:120 -121.

[25] أحمد بوحسن: الروائي والتاريخي في رواية (كتاب الأمير: مسالك أبواب الحديد)، محاضرة منشورة ضمن سلسلة محاضرات مركز دراسات الدكتوراه: «الإنسان والمجال في العالم المتوسطي»، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب الأقصى، ط:1431،01هـ/2010م، ص:15-16.

[26] عبد الحميد بورايو: التوليف بين التاريخ الشخصي والتاريخ الواقعي، شهادة في ندوة علاقة الرواية بالتاريخ، المرجع السابق، ص: 121.

[27] هند سعدوني: غرائبية الرواية والنص المختلف، مجلة منتدى الأستاذ، المجلد:20 العدد: 01، ديسمبر، 2024 م، ص :12.

[28] سمية قايم: جماليات النص المرفل التفاعلي وسيرورة التلقي، مجلة منتدى الأستاذ، المجلد: 18، العدد: 01، ديسمبر، 2022 م، ص :76.

[29] عبود أوريدة: رواية من يوميات مدرسة حرة لزهور ونيسي بين التوثيق والتخييل، مجلة منتدى الأستاذ، المجلد: 15، العدد: 02، جوان، 2019م، ص :48.